

الشيخ علي عبد العال الطهطاوي

تقديم

الشيخ حمديوي حلاوة

من علماء الأزهر

دار الروضة
للنشر والتوزيع

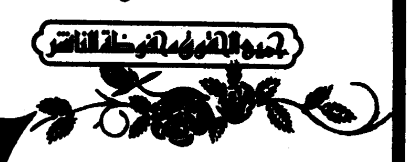
رقم الايداع ٧١٥١ | ٩٦
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 5481 - 27 - 9

دار الرَّوضة
للنشر والتوزيع
القاهرة : ص ب ٢٢٢٧

يطلب من
مركز توزيع الكتاب الإسلامي
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١

نافذتك على الفكر الإسلامي العربي والعالمي بما تقدم لك من روائع الكتب التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة في مختلف المجالات

يديرها ويشرف عليها سامي الطرابيشي



بســـمِ الله الرحمن الرّحيـــــمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ .

(التحريم : ٦)

تقديم الكتاب

للأستاذ الشيخ / حديوى حلاوة من علماء الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ...

جاء رجل إلى الإمام على كرم الله وجهه وكان الرجل قد اشترى بيتاً - فجاء فرحاً مسروراً بما اشترى من متاع الدنيا الفانية .

وقال له يا إمام - لقد اشتريت بيتاً فاكتب لى عقد هذا البيت - فكتب الإمام على كرم الله وجهه وأرضاه .

* اشترى ميت من ميت - بيتاً له أركان أربعة :

الركن الأول - الموت - والثانى القبر - والثالث الحساب والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فاكفهر وجه الرجل وتغير لون وجهه ثم قال - لقد تصدقت بهذه الدار على الفقراء والمساكين .

فنظر الإمام وقال له :

النفسُ تطمعُ فى الدُّنْيـا ... وقد علمت أن السلامةَ تَرْكُ مَا فيها
لاَ دَارَ لِلْمَـرْءِ يسكُنُهَـا ... إلاَّ التى كـانَ قَـبْلَ الموتِ يبنيهـا
فَـإنْ بناهاَ بخيرٍ طابَ بانيها ... وإنْ بناها بشرٌ خـاب بانيهـا

* والجنة والنار يمثلان نهاية المطاف بالنسبة للإنسان . لأنه لو كانت الدنيا هى أيام الله وكفى ـ لملأ الإنسان الأرض طغياناً وفساداً وظلماً وبغياً وتكبراً وجحوداً ونكراناً لنعم الله تعالى ..

ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا دار الفناء والهلاك، وامتحاناً للإنسان وحدد له موعداً محدداً وأجلاً مؤجلاً فمتى انتهى هذا الموعد المحدد ومتى حان الوقت الذى أراده الله بعث له ملك الموت ليقبض روحه ويموت الإنسان ويقبر ثم يبعث ويقف بين يدى الله يوم الحساب عرياناً ثم توزن أعماله إن كانت خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ثم يمر على الصراط ثم يخلد إما فى الجنة أو النار .

* وهب أنك تعمل أى عمل عند أى إنسان فى الدنيا ـ فإنه يوفيك أجرك فى نهاية عملك الذى عملته ـ وجزاء الدنيا لك نظير عملك الذى عملته يعطيه لك بشر وغالباً ما يكون هذا الأجر مادياً لا معنوياً ـ كذلك بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى فقد خلق الدنيا وخلق فيها الإنسان ليمتحنه وليبلوه ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

(الملك : ٢)

فإذا عمل الإنسان فى الدنيا الصالحات وقدم الخيرات وعاش مع الله ذاكراً ربه ومطيعاً له مؤدياً ما فرضه الله عليه ناشداً الحلال وعازفاً عن الحرام فلابد له من أجر سيأخذه جزاء نتيجة هذا العمل .. والجزاء والأجر فى هذه المرة لن يكون من إنسان مثله بَشَر ميت ـ إنما الذى سيعطى الجزاء وهذا الأجر فى هذه المرة ليس المخلوق ، إنما هو الخالق سبحانه وعطاء الخالق ليس مادياً ، إنما هو شيء عظيم ، أعظم من المادة وأعظم من كل متع الدنيا .

هذا الجزاء هو الجنة والرضوان والنعيم المقيم والذى يرى فيه الإنسان ـ ويشاهد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ لأن نعيمها لا يشبهه أعظم نعيم فى الدنيا ـ أكلها دائم وظلها ـ تجرى من تحتها الأنهار فى غير أخدود .

كل هذا من غير عناء ولا تعب ولا وصب ولا نصب ولا حتى مجرد الكلام ، وإنما الذى يخطر على قلبك وتحدثك به نفسك تجده أمام عينيك . اللون واحد والطعم مختلف ولا تقول غير ما قال الله تعالى عن أهل الجنة ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) ﴾ . (يونس : ١٠)

فتعيش فى هذا النعيم الباقى مخلداً دون كراهية أو حقد من أحد عليك لأن الله يقول ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾ .

(الحجر : ٤٧ ـ ٤٨)

والجنة تتفاوت درجاتها حسب الأعمال الصالحة فهناك - جنة الرضوان وعدن ودار السلام - وجنة المأوى - ودار النعيم - والفردوس والخلد .

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) ﴾ .

(البقرة : ٢٥)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) ﴾ . (الأعراف : ٤٢)

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . (محمد : ١٥)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « احتجت الجنة والنار . فقالت الجنة : يدخلني الضعفاء والمساكين وقالت النار : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، فقال الله للنار - أنت عذابي . أنتقم بك ممن شئت . وقال للجنة - أنت رحمتي . أرحم بك من شئت » .

ويكفى أهل الجنة نعيماً أن الله يكشف عنهم الحجاب فيروا ربهم .

يقـول النبى ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال - يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم - فيقولون - ألم تبيض وجوهنا - ألم تدخلنا الجنة - وتنجنا من النار قال : فيكشف الحجاب . فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم » .

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة . يقولون .. لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك .قالوا : يارب وأى شىء أفضل من ذلك .فيقول : أُحلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً » .

* وجعل الله النار عقاباً للعاصين الكافرين المشركين الذين ابتعدوا عن منهج الله ونسوا الله فأنساهم أنفسهم واستحبوا العمى على الهدى، والضلال على الغى ، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون . فجعل الله النار عقاباً لكل متكبر جبار لا يؤمن بيوم الحساب وكل مشرك ظالم استحل حرمات الله عز وجل ولم يتب عن الكبائر ولم يستحِ من ربه فأذاقه الله العذاب المهين جزاء ما فعل فى دنياه خالداً مخلداً فى النار والجحيم والعياذ بالله .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ

كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧) ﴾.

(طه : ١٢٤ ـ ١٢٧)

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾.

(فاطر : ٣٦ ـ ٣٧)

* وهذا الكتاب الذى بين أيدينا وهو كتاب « المنهل العذب المختار فيما ورد فى الجنة والنار » يكشف النقاب ويميط اللثام ويرفع الستار عن الجنة والنار وما ورد فيهما من نعيم وعذاب .. بذل فيه مؤلفه جهداً خارقاً حتى خرج بهذه الصورة الجميلة عن الجنة والنار فتحدث عن الجنة ودرجاتها وأبوابها وأهلها وطعام أهلها وكذلك عن النار وأبوابها وسعيرها وأغلالها وسلاسلها وجحيمها وطعام أهلها ..

* وسطر هذا الكتاب يراع أستاذ قدير وعالم جليل وهبه الله العلم النافع لتقواه وحبه لله وللدعوة الإسلامية .. هو فضيلة الشيخ / على أحمد عبد العال الطهطاوى وكيل عام الجمعية الشرعية ، أستاذ محقق،

وعالم متمكن ، وواعظ ندى الصوت ، قوى البيان ، بارك الله فيه ونفعنا بعلمه وعمله ، ومنحه الله الصحة والعافية حتى يخرج لنا من جعبته الكثير والكثير من العلم النافع المفيد وجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ، .

حديوى حلاوة
من علماء الأزهر الشريف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ـ نحمده ونستعينه ـ ونستهديه ونسترضيه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ـ إنه من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :

فهذه رسالة نتقدم بها إليك أخى المسلم فى ذكر الجنة والنار راجين من الله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه وأن يجعلنا من المتقين الذين يؤمنون بالغيب وقد قصدنا بحمد الله تعالى فى كتابتها أصح الأخبار عن رسول الله ﷺ وتفسير علماء الأمة لآيات الله عز وجل .

وفى هذا المقام نود أن نقول إن أمور الغيب لا تعرض على العقول لإثباتها وإثبات حدوثها، ولكن الإيمان بها وإثبات صحتها يعتمد على الأخبار الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ أو التى أوردها الله سبحانه وتعالى فى كتابه فإن ثبت فى هذين المصدرين فليس لنا إلا الإيمان اليقينى والتصديق المطلق ، وهذا هو الفرق بين المؤمن وغيره .

إن الفادحة الكبرى ، والمصيبة العظمى فى نزعات الإلحاد التى تشيع فى مجتمعنا شىء ينبغى أن نتنبه له ، وأن نجد الخطو فى إزالته ، وإزاحته . وذلك أن الإلحاد معول هدام ، يقضى على النظام ، ويبعث

الفوضى فى الصفوف . إن الإلحاد مرض خطير ينساب إلى العقل فيعتل ، وإلى القلب فيختل ، وإلى الفكر فيصاب بذهول وشرود وعندما نتصفح الماضى . نجد أن الدعوات المنحرفة ليست جديدة على أرض الله . فهى قديمة قدم الأرض نفسها ولا يحسبن رواد هذه الدعوات أنهم أتوا بجديد . فإن ما فعلوه لا يعدو أن يكون ترديداً مكرراً لكلام قاله «الكفرة » الأوائل أمثال أبى جهل ، والوليد والآخرين ..

إن الكفرة الأوائل قالوا : ﴿ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ .. تماماً .. كما يقول « الوجوديون » «والشيوعيون » وجمهرة « الكفرة المحدثين » قريب من قريب .

والغريب أن الأدلة التى استعملها كل فريق هى نفسها لم تتغير . وإن الشكوك والشبهات التى دارت فى أدمغة (القدماء والمحدثين) من الملاحدة والضالين .. هى هى .. بدون أدنى فرق .

ذلك بأنهم يسخرون .. ويتهكمون عندما يسمعون ذكر (الجنة) التى أقامها الله للطائعين لتكون مثابة فوز وأمن وجزاء .

ونقول ونعلن للجميع إيماننا بأن الجنة حق ليجد المتعبون الراحة ، والمكدودون الهناءة وليجد الذين قضوا حياتهم فى الجهاد فى سبيل الله المكافأة والمثوبة . نعم هى حق . وينعم بها الله على الذين عبدوه ووحدوه ، وأقاموا وجوههم له وحده .. فكانت حياتهم عبادة وسعيهم قيادة وجلوسهم تذكرة وقيامهم تدبراً !!

هى حق .. والنار حق .. والبعث حق .

إن المناقشة السريعة التى دارت بين الرسول ﷺ وبين « الوليد » أحد صناديد الكفر ذات يوم هى التى يمكن أن تعهد بها اليوم إلى كل كافر . جاء الوليد بعظم قدم وبلى[1] فقدمه إلى النبى ﷺ قائلاً : يا محمد أترى الله يحى هذا بعدما رم وبلى ؟ فقال النبى ﷺ : « نعم ويبعثك ويدخلك النار » ونزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه * قال من يحيى العظام وهى رميم؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون * أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنَّمَا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون ﴾ .

(يس : ٧٨ - ٨٣)

وبعد ، فإنا نقدم هذا الكتاب المفيد « الجنة والنار » وهو كتاب جمع بين دفتيه الخير الكثير.

لنعرف الجنة .. بحُورها ولذاتها ، بأنهارها ، وأشجارها ، بمتعتها ، ولذتها ، ونخاف من النار بجحيمها وزفيرها ، وبسوادها ، وبظلامها .

قال أعرابى للنبى ﷺ :- يا رسول الله ، أنا أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ بن جبل فقال له النبى ﷺ : « حولهما ندندن » .

---

(١) أوشك على الانهيار والتفتت .

صدق رسول الله ﷺ ونحن وكل المسلمين ، حولهما ندندن ، نسأل الله الجنة ، ونعوذ به من النار ، ونسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الرسالة جامعها ، وناشرها وقارئها .

والله مولانا وإليه المصير .

وإلى لقاء آخر مع رسائل أخرى بمشيئة الله تعالى .

خادم الكتاب والسنة

على أحمد عبد العال الطهطاوى



أهوال جَهَنَّم
أهوالها وأحوال أهلها

الترغيب فى سؤال الجنة
والاستعاذة من النار

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن[1] ، قولوا : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

رواه مالك ومسلم وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى .

وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : سمعنى رسول الله ﷺ وأنا أقول اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله[2] وبأبى سفيان وبأخى معاوية ، فقال : « سألت الله لآجال مضروبة[3] وأيام معدودة[4] وأرزاق

---

(١) يعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فى تعليمهم إياه وحفظهم له كما لو كان من القرآن وذلك ليدعو به فى آخر التشهد وفى الحديث الصحيح « إذا تشهد أحدكم فيتعوذ من أربع : من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » .

(٢) وكذلك رواه ابن ماجه وقال فى الزوائد : إسناده صحيح .

(٣) يعنى حياته فهو دعاء له بطول العمر .

(٤) أى محدودة مسماة لا يزاد فيها ولا ينقص منها .

مقسومة (١) لن يعجل شيئاً منها قبل أجله(٢) ولا يؤخره ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر كان خيراً وأفضل ، (٣) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما استجار عبد من النار(٤) سبع مرات (٥) إلا قالت النار : يارب إن عبدك فلاناً استجار منى فأجره (٦)، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلاناً سألنى فأدخله الجنة » .

رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخارى ومسلم

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة(٧) ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم

---

(١) أى معلومة معينة .

(٢) أى مقداره قد قسمها الله عز وجل بين عباده فلا يموت أحد منهم حتى يستوفى رزقه .

(٣) أى لو كنت فى دعائك قد طلبت من الله عز وجل أن يجيرك من النار أو عذاب القبر لكان أنفع لك لأنه دعاء بشىء ممكن الحصول .

(٤) أى طلب من الله عز وجل أن يجيره وينقذه منها .

(٥) بأن يقول سبع مرات بعد صلاة الصبح اللهم أجرنى من النار ومثلها بعد صلاة المغرب .

(٦) أى فارحمه منى وأبعده على .

(٧) يعنى أن الجنة تسمع لدعاء هذا المشتاق إليها وتشفع له عند الله تعالى أن يدخله الجنة .

أجره من النار »[1] . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه[2]

وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن لله ملائكة سيارة[3] يتبعون مجالس الذكر فذكر الحديث إلى أن قال : فيسألهم الله ـ عز وجل ـ وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويكبرونك ويهللونك . ويحمدونك[4] ويسألونك ، قال : فما يسألون ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا ، أى رب ، قال فكيف لو رأوا جنتى . قالوا: ويستجيرونك قال : ومم يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يارب قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا ، قال : كيف لو رأوا نارى . قالوا : ويستغفرونك ، قال فيقول : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا** » . الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

وهو حديث عظيم نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يذكره ويدعوه ويستغفره[5] .

---

(١) وكذلك النار تسمع لهذا المستغيث الطالب من الله أن يجيره من النار فتشفع له بذلك .

(٢) قال ابن ماجه « حدثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن أبى إسحاق عن زيد بن مريم عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ ثم روى الحديث ، وفى الحديث الحث على كثرة سؤال الجنة والتعوذ من النار.

(٣) أى يكثرون السير فى الأرض تتبعاً لمجالس الذكر وفى رواية « السياحين » .

(٤) أى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهى أفضل الكلام بعد القرآن .

(٥)هذا الباب أخذناه من كتابنا (القبر أول منازل الآخرة) .

صفة جهنم وأهوالها

تأمل هدانى الله وإياك حال الخلائق ، وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا ، فبينما هم فى كربها وأهوالها ، وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأطلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب[1] وجثت الأمم على الرُكب حيث أشفق ، البرءاء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان ابن فلان المسوف لنفسه فى الدنيا بطول الأمل . المضيع عمره فى سوء العمل ، فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد . ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ،[2] فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ، ويرقد فيها البعير شرابهم فيها الحميم ، أمانيهم فيها الهلاك . وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصى ، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ، ينادون من أكنافها ، ويصيحون فى أطرافها ونواصيها : يا مالك ، قد نضجت منا الجلود . يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود ، فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ، ولا خروج لكم من دار الهوان

---

(١) الهلاك .

(٢) احتقاراً له وسخرية منه .

اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون . فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا فى الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف . بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار على أيمانهم ، والنار على شمائلهم ، فهم غرقى فى النار طعامهم نار ، وشرابهم نار ولباسهم نار ،ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران ، وسرابيل القطران ، وضرب المقامع ، وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ، ويضربون بين غواشيها ، تغلى بهم النار كغلى القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد تتهشم بها جباههم ، فينفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم .

بيان وجود النار الآن

اعلم أنه لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب العزيز والسُّنة المطهرة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم وأخبروا بها وحذروا الناس منها .

وقد ذكر الله تعالى النار فى كتابه فى مواضع كثيرة يتعسر حدُّها

ويفوتُ عدَّها ووصفها ، وأخبرَ بها على لسان نبيه ﷺ ونَعَتَها ، فقال عزَّ من قال :

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ .

(البقرة : ٢٤)

وقال :

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ (الكهف : ٢٩)

وقال :

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) ﴾ (الفتح : ٦)

وقال :

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) ﴾ (الفرقان : ١١)

إلى غيرِ ذلك من الأدلة القطعية التى تُثْبت وجود النارِ إثباتاً لاريبَ فيه ولا شبهةَ .

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « ... واطَّلَعْتُ فى النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء » (صحيح الجامع : ١٠٤١) ، ففيه دلالة على وجودها حال اطلاعه .

وصَحَّ عن غير واحد من الصحابة قولُهُ ﷺ : « الحمَّى من فَيْحِ جهنم ، فأبردوها بالماء » (صحيح الجامع : ٣١٨٦) .

وفى الباب أحاديثُ كثيرةٌ .

وقال الشيخ أحمد ولىُّ الله المحدث الدّهلوى(1) فى « عقائده » : « الجنة والنار حق ، وهما مخلوقتان اليوم ، باقيتان إلى يوم القيامة »(2) انتهى .

ونحوه ومثله فى الكتب الأخرى المؤلفة فى أصول الدين(3) .

***

---

(1) ترجمته فى « الأعلام » (1/149) و « إيضاح المكنون » (1/65) .

(2) يشير إلى الرد على القائلين بفناء النار ، وقد عقد المصنف باباً بعد هذا الباب فى إثبات ذلك آثرت حذفه ، ليكون الكتاب فى الترهيب والوعظ خالصاً ، ومسألة كهذه هى أليق بكتب العقيدة وأصول الدين ، وانظر لزاماً ما علقه أستاذنا الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (4/69) .

(3) انظر « شرح العقيدة الطحاوية » (476 - 486) لابن أبى العز الحنفى .

قلت : وقد أفرد المصنف باباً يذكر فيه مكان النار ، وأين هى ؟ حشاه بأقوال عدد من العلماء لا دليل معهم ، ثم ختم ذلك كله بنقل عن الإمام الدهلوى ، وهو قوله : « ولم يصرح نص بتعيين مكانهما - أى الجنة والنار - بل حيث شاء الله تعالى ، إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه » انتهى . ثم أردف المؤلف ذلك بقوله : « أقول : وهذا القول أرجح الأقوال وأحوطها إن شاء الله » . وانظر ما ذكره الحافظ ابن رجب فى « التخويف من النار » (ص45) .

آيات من الكتاب العزيز
وردت فى جهنَّم[1]

* قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة : ٢٤)

الوَقود[2] : الحطب ، وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها ، وفى هذا التهويل ما لا يُقَدَّر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة ، فأُوقدت بما يراد إحراقه بها نفسه .

* وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (البقرة : ٣٩)

أى : لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ، والخلد والخلود : البقاء الدائم الذى لا ينقطع .

* وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ (البقرة : ٢٢١)

أى : إلى الأعمال الموجبة للنار ، فكان فى مصاهرة المشركين ومعاشرتهم ومصاحبتهم من الخطر العظيم ما لا يجوز للمؤمنين أن

---

(١) ذكر المصنف بعد هذا الباب باباً فى آيات كريمة وردت فى صفة النار وأهلها، والمعنى واحد تقريباً فجمعت البابين مختصرين تيسيراً على القارئ .

(٢) وبضم الواو بمعنى التوقد .

يتعرضوا له ويدخلوا فيه ، وقال تعالى : ﴿ وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) ﴾ (آل عمران : ١٠) أى : حطب جهنم الذى تُسَعَّر به .

* وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾

(التوبة : ٨١)

أى : حرّاً كثيراً فى زمن كبير ، بل غير مُتناهٍ ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) ﴾

(التوبة : ٩٥)

* وقال تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾

(هود : ١١٣)

وفيه أنَّ الظلمةَ هم أهلُ النار ، ومصاحبةُ النار توجب - لا محالة - مَسَّها ، وهذا فيمن ركن إلى من ظلم ، فكيف بالظالم نفسه ؟!

* وقال تعالى : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً ﴾

(الكهف : ١٠٠)

أى : أظهرناها حتى شاهدوها يومَ جَمْعنَا لهم ، وفى ذلك وعيدٌ للكفار عظيم ، لما يحصل لهم عند مشاهدتها من الفزع والروعة .

* وقال تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ﴾

(التكاثر : ٦ - ٧)

أى الرؤية التى هى نفس اليقين .

* وقال تعالى : ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾

(البقرة : ١١٩)

أي : عن حالهم التى تكون لهم يوم القيامة ، فإنها شنيعة ، ولا يمكنك فى هذه الدار الاطلاع عليها ، وهذا فيه تخويف لهم ، وتسلية للنبى ﷺ .

* وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء : ٥٦)

أى : كلما احترقت جلودهم أعطيناهم مكان كل جلدٍ محترق جلداً آخرَ غيرَ محترق ، فإذا ذلك أبلغ فى العذاب للشخص .

* * *

وهذا آخر ما أردتُ إيراده من الآيات الكريمات فى أحوال جهنم وأهوال النار وذكر أصحابها ، وبقيت آيات كثيرة فى ذلك ، ولا حاجة تدعو إلى إيرادها فى هذا الكتاب المبنى على الاختصار .

احتجاج أهل الجنة والنار وصفة أهلها

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **احتجت الجنة والنار فقالت الجنة : يدخلنى الضعفاءُ والمساكينُ ، وقالت النار: يدخُلُنى الجبارون والمتكبرون ، فقال الله للنار : أنت عذابى ، أنتقم بك ممن شئت ، وقالَ للجنة : أنت رحمتى ، أرحم بك مَن شئتُ ، ولكلٍّ واحدةٍ منكن ملؤها** » (صحيح الجامع : ١٨٣)

وعن سراقة بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **أهل النار كلُّ جعظرىٍّ**[1] **، جوّاظ**[2] **، مُستكبر ...** » (صحيح الجامع : ٢٥٢٦)

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « .. **وأهل النار مَن ملأ الله تعالى أُذنيه مِن ثناء الناس شراً وهو يسمع** »

(صحيح الجامع : ٢٥٢٤)

وعن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « **مَن أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومَن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض** » (صحيح الجامع : ٥٨٢٦)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون**

---

(١) هو الفظُّ الغليظ المتكبر . « نهاية » (١ / ٢٧٦) .

(٢) هو الكثير اللحم المُختال فى مشيته « نهاية » (١ / ٣١٦) .

بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ ، مميلاتٌ مائلاتٌ ، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ». (صحيح الجامع : ٣٦٩٣)

والمعنى أنهن كاسياتٌ بالثياب ، عاريات من الدين لانكشافهن ، وإبداء محاسنهن ، وقيل : كاسيات ثياباً رقاقاً يظهر ما تحتها وما خلفها ، فهن كاسياتٌ في الظاهر ، عاريات في الحقيقة ، ومائلات : معناه : زائغات عن طاعة الله وطاعة الأزواج ، وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ، ومميلات : معناها : يملن رؤوسهن وأعطافهن للخيلاء والتبختر ، ومميلات لقلوب الرجال إليهن بما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن ، رؤوسهن كأسنمة البُخت[1] : معناه - والله أعلم - أنهن يعظمن رؤوسهن بالخُمُر ، ويُكَوِّرْن شعورهن ، ولا يغضضن من أبصارهن .

ما جاء في أكثر أهل النار

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « قمتُ على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وإذا أصحابُ الجَدِّ محبوسون ، إلا أَصحاب النار ، فقد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار ، فإذا عامةُ من يدخلها النساء ». (صحيح الجامع : ٤٢٨٧)

---

(١) قال القاضي عياض في « مشارق الأنوار » (١ / ٧٩) : هي إبل غلاظ ذات سنامين .

وعن عمران بن حصين قال : قال النبي ﷺ : « إن أقل ساكني الجنة النساء » . (صحيح الجامع : ١٥٧٠)

أي : لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الآخرة ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها ، ثم مع ذلك هُنَّ أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة لما لهم فيهن من الهوى ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين ، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين(١) .

بَعْث النار
وأول مَن يُدعى يوم القيامة

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أول من يُدعى يومَ القيامة آدم فتتراءى له ذُرِّيته ، فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فيقول أخْرِج بعث جهنم مِن ذريتك ، فيقول : يارب كم أُخْرِج ؟ فيقول : أخرج من كل مئةٍ تسعةً وتسعين ، قالوا : يا رسول الله ، إذا أُخذ منا من كل مئةٍ تسعةٌ وتسعون ، فماذا يبقى منا ؟ قال : إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود »

(صحيح الجامع : ٢٥٨٠)

---

(١) التذكرة القرطبية (٣٦٩) .

ما جاء
فى أول مَن تُسَعَّر بهم جَهَنَّم

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه ، رجلٌ استشهد ، فأتى به ، ، فَعَرَّفَهُ نعمه ، فعرفها، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبتَ ، ولكنك قاتلت ليقال جرئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأُتى به فَعَرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته ، وقرأتُ فيك القرآنَ ، قال : كذبتَ ، ولكنك تعلمتَ ليقال عالم ، وقرأتَ القرآن ليقال : هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار ، ورجل وسّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتى به فَعَرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ يُحَبُّ أن يُنفقَ فيها ، إلا أنفقتُ فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه ، ثم أُلقى فى النار »

(صحيح الجامع : ٢٠١٠)

ما جاء فى عِظَمِ جهنم

عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألفَ زِمام ، مع كلّ زمام سبعون ألف مَلَك يجرونها »

(صحيح الجامع : ٧٨٧٨)

ما جاء فى أن الشمس والقمر يُقذفان فى النار

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الشمس والقمر ثوران مُكَوَّران فى النار يوم القيامة[1] » (صحيح الجامع : ٣٦٣١)

عمق جهنم وشدة حرها

قد ثبت فى صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه قال فى خطبة « إن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى سبعين عامًا إلى قرارها ، ولجهنم سبعة أبواب وفيها سبع دركات وتظل تنادى ربها وتقول هل من مزيد حتى تستوفى أهلها ، عند ذلك تغلق عليهم نار مؤصدة فى عمد ممددة ، أى : أن الأعمدة توضع خلف الأبواب حتى لا تنفجر من شدة حرها وغليانها » . وروى البخارى عن إسماعيل بن أبى إدريس عن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: « نار بنى آدم التى توقد جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا يارسول الله : إن كانت لكافية ، فقال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » .

---

(١) قال القرطبى فى « التذكرة » (٢٩٢) : ... وإنما يُجمعان فى جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله ، ولا تكون النار عذاباً لهما ، لأنهما جماد ، وإنما يُفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم . وانظر كلام شيخنا الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (١٢٤) .

وروى الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ **« أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، وألف سنة حتى ابيضت وألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة »** فانظر إلى هذا السجن الرهيب المملوء بالنار السوداء التى لا يضىء لهبها ولا جمرها ، فلو أن أحداً من الخلائق هددنا بسجن من سجون الدنيا لخفنا ذلك . فكيف بالخالق سبحانه يحذرنا من جهنم ولا نرتدع ! .

حدثنا البخارى عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه كما يغلى المرْجل ويغلى القمقم » .

وروى مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، ينتعل بنعلين يغلى منهما دماغه » .

طعام أهل النار :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۝ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝ ﴾ (الغاشية : ٦ ـ ٧) وفى حديث عن ابن عباس مرفوعاً « الضريع شىء يكون فى النار ، يقال يشبه الشوك ، أمر من الصبر ، وأنتن من الجيفة ، وأشد حراً من النار ، إذا أطعمه صاحبه لا يدخل ولا يرتفع إلى الفم فيبقى بين ذلك ، لا يسمن ، ولا يغنى من جوع » . وهذا حديث غريب جداً .

قال الله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ

رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) ﴾ (الصافات : ٦٢ ـ ٦٨) ، وقد شبه حمل شجرة الزقوم برؤوس الشياطين لبشاعتها ، وذلك أن الناس يتخيلون رأس الشيطان فى أبشع منظر وأقبح صورة تأباها النفوس والعيون ، والشوب هو الخلط أى يمزج بين الزقوم المتناهى فى القذارة والمرارة والحميم المتناهى فى اللهب .

وقال ابن عباس ، لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك ، رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

شراب أهل النار :

قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ الصديد : قيح ودم يسيل من جراح أهل النار .

قال ابن المبارك عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ ، **يقرب إليه[1] فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه** ، قال الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥) ﴾ (محمد : ١٥) ، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

---

(١) أى الصديد والقيح والدم .

روى الترمذى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ **، يلقى على أهل جهنم الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام، فيؤتون بطعام ذى غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يستغيثون فى الدنيا بالشراب ، فيؤتون بالحميم فى أكواب من نار ، فإذا أدنيت من وجوههم قشرت وجوههم ، فإذا أدخلت بطونهم قطعت بطونهم فيستغيثون عند ذلك فيقال لهم :** ﴿ أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ، **فيقولون : بلى فيقولون : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال فيقولون : ادعوا لنا مالكاً ، فيقولون** ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الآية فيقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ فيقال ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

ملبس أهل النار :

يقول الله عز وجل : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ ، ويقول تعالى ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، أى مقرون بعضهم ببعض أو شيطان الإنس مع قرينه شيطان الجن والأصفاد هى القيود والسلاسل . والسرابيل هى القمصان، والقطران ثلاث صفات يساعد على شدة اشتعال النار ، وذو لون قبيح، ورائحة كريهة .

أسرة أهل النار :

يقول الله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ، ويقول تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾.

بشاعة منظر الكافر فى النار :

عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ قال : « تشويه النار وتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتتقلص شفته السفلى حتى تضرب سرته » أخرجه الترمذى وروى ابن المبارك عن ابن مسعود فى نفس الآية : « ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه » .

وروى عن معاذ بن أسد رفعه قال : « ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » وعن مجاهد قال : قال ابن عباس « أتدرى ما سعة جهنم قلت : كلا ، قال : أجل والله ما تدرى ؟ إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يجرى فيها أودية القيح والدم ، قلت له : أنهار ، قال : لا بل أودية ، أتدرى ما سعة جهنم ؟ قلت : لا قال : أجل والله ما تدرى ، حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الزمر : ٦٧) ، قلت : فأين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال : على جسر جهنم » . أخرجه الترمذى وصححه وقال الحاكم : صحيح الاسناد.

وأخرج ابن المبارك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: « ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أُحُدٍ ، يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب » .

وقال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (النساء : ٥٦) .

قال : تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا ، فيعودون كما كانوا .

ما جاء في أن النار لها عينان وعنق وأذن ولسان

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « يخرج عنق من النار يوم القيامة ، له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكِّلْتُ بثلاثة : بكل جبارٍ عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين » (صحيح الجامع : ٧٩٠٧) .

ما جاء في وديان جهنم

عن ابن عمرو أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذرّ (١) في صُوَرِ الرجال ، يغشاهم الذُّلُّ من كُلِّ مكان، يُساقون إلى سجن في جهنّم يُسمّى بُولَس ، تعلوهم نار الأنيار(٢) ، يُسقون من عُصارةِ أهل النار : طينة الخبال » (صحيح الجامع: ٧٨٩٦) .

---

(١) صغار النمل .

(٢) جمع نار ، مثل : ناب وأنياب .

ما جاء فى تعظيم جسد الكافر فى النار

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحدٍ ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» (صحيح الجامع : ٣٧٨٤) .

وعنه رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : «إنّ غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبّار(١) ، وإن ضرسه مثل أحد ، وإنّ مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» (صحيح الجامع : ٢١١٠) .

ما جاء فى شدّة عذاب أهل المعاصى

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون» (صحيح الجامع : ١٥٥٩) .

وعنه أنّ رسول الله ﷺ قال : «إنّ أشد الناس عذابا يوم القيامة رجلٌ قتل نبياً ، أو قتله نبىٌ ، والمصور يصوّر التماثيل» (صحيح الجامع : ١٠١١) . وغيرها كثيرٌ .

عذاب مَن عذّب الناس فى الدنيا

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدّهم عذاباً للناس فى الدنيا» (صحيح الجامع : ١٠٠٩) .

---

(١) من جبابرة الآدميين الأشداء العظماء .

ذكر عذاب مَن خالف
قولُه فعلَه

عن أسامة بن زيد قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **يُجاء برجل فيُطرح فى النار ، فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون أىْ فلان ! ألست كنتَ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وأفعله** » (صحيح الجامع : ٧٨٧٨) .

وعن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : « **أُتيت ليلةَ أُسرىَ بى على أقوام تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار ، كُلّما قرضت رُدّت ، قلتُ : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمّتك الذين يقولون ولا يفعلون** » (صحيح الجامع : ١٢٨) .

ما جاء فى بكاء أهل النار

عن أنس أنّ رسول الله ﷺ قال : « **يُرسل البكاءُ على أهل النار ، فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأُخدود ، لو أرسلت فيها السفن لَجَرَتْ** » (صحيح الجامع : ٧٩٣٩)

وعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « **إنّ أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه** » (صحيح الجامع : ٢٠٣١) .

لكلّ مسلم فداءٌ من النار من الكفّار

عن أنس أن النبى ﷺ قال : « إنّ هذه الأمةَ أمةٌ مرحومة ، عذابها بأيديها ، فإذا كان يوم القيامة دُفِعَ إلى كلّ رجل من المسلمين رجلٌ من المشركين ، فيُقال : هذا فداؤك من النار » (صحيح الجامع : ٢٢٥٧)

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى » (صحيح الجامع : ٧٨٩١) .

قوله تعالى : ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾

عن أنس عن النبى ﷺ قال : « لا تزال جهنم يُلقى فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع ربُّ العزّة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط بعزّتك وكرمك ، ولا يزال فى الجنّة فضلٌ حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة » (صحيح الجامع : ٧١٦٣) .

ذِكر آخر من يخرج من النار

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلمُ آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة : رجلٌ يخرج من النار حبواً ، فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها ، فيُخَيَّل إليه أنها ملأى ، فيرجع ، فيقول : ياربّ ! وجدتُها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، قال : فيأتيها ، فيُخَيَّل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : ياربّ ! وجدتُها ملأى ، فيقول الله له : اذهب

فادخل الجنة فإنّ لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو : إنّ لك عشرة أمثال الدنيا ، قال : فيقول : أتسخر بى وأنت الملَكُ ؟ » .

قال : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك حتى بَدَت نواجذُه . (صحيح الجامع : ٢٤٨٥)

ما جاء فى ميراث أهل الجنة
منازل أهل النار

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قـال : « ما منكم من أحـدٍ إلاّ له منزلان ، منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار ، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠) » ، (صحيح الجامع : ٥٦٧٥) .

ما جاء فى خلود
أهل الدارَين وذبح الموت

عن ابن عمـر ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار جىء بالموت ، حـتى يُجـعل بين الجنة والنار ثم يُذبح ، ثم يُنادى منادٍ : يا أهل الجنة لا مـوت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » (صحيح الجامع : ٦٤٩) .

مَن عُذِّبَ من الموحّدين
فى النار ثم أُخرج بالشفاعة

عن جابر أنّ رسول الله ﷺ قال : « يُعَذَّبُ ناس من أهل التوحيد حتى يكونوا فيها حُمَماً، ثم تُدركهم الرحمة ، فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة ، قال : فَيَرُشُّ عليهم أهلُ الجنة الماءَ ، فينبتون كما ينبت القثاء ثم حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنةَ »

(صحيح الجامع : ٧٩٥٩)

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكنْ ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم بالشفاعة ، فجىء بهم ضبائر ضبائر(١) ، فَبُثُّوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ، أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة فى حَميل السيل » (صحيح الجامع : ١٣٦٢) .

فصل « ذكر بعض ألوان العذاب »

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى ينفذ إلى جوفه حتى يعرق من قدميه وهو الصهر ثم يُعاد كما كان » أخرجه الترمذى .

وثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) جماعات متفرقة .

قال : « ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان أخذ بلهزمتيه ، فيقول : أنا مالك ، أنا كنزك (واللهزمة عظم ناتئ فى اللحى) وفى رواية : يفر منه ، وهو يتبعه ويتقى منه فيلقم يده ، ثم يطوقه » وقرأ الآية : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (آل عمران ١٨٠) .

وقد روى مثله عن ابن مسعود مرفوعاً . وروى الترمذى عن كعب الأحبار أنه قال : إن الله لينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان فيقول: خذوه فيأخذه مائة ألف ملك ، أو يزيدون ، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضباً لغضب الله فيسحبونه على وجهه إلى النار ، فالنار أشد غضباً منهم بسبعين ضعفاً فيستغيث بشربة ، فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه ، فويل له من النار » .

وعنه أيضاً : « أتدرون ما غساق ؟ قالوا : لا ، قال: إنه عين فى جهنم تسيل إليها حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك يستنقع ، يؤتى بالآدمى فيغمس فيه غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده عن العظام ويعلق جلده ولحمه فى كعبه فيجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه » .

بعض معالم جهنم

روى الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **استعيذوا بالله من جب الحزن** » قالوا يا رسول الله

ومـا جب الحـزن ؟ قـال : « واد فى جهنم تستعيذ جهنم منه كل يوم أربعمائة مرة أعدّ للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يراؤون الأمراء الجورة » .

وثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود مرفوعاً : « يجاء بجهنم يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « لسرادق النار أربعة جدر ، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » .

رواه الترمذى وبهذا الإسناد عن النبى ﷺ أنه قال : « لو أن دلواً من غسلين أهريق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا » أخرجه الترمذى .

عذاب أهل النار المعنوى

ثم نفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ، ودعائهم بالويل والثبور ، فإن ذلك يسلط عليهم فى أول إلقائهم فى النار . وما دام يؤذن لهم فى ذلك فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك .

قال محمد بن كعب : « لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة ، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها - أبداً - يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ⑪ ﴾ (غافر : ١١) . فيقول الله تعالى مجيباً لهم : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾

(غافر : ١٢) . ثم يقولون ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ (السجدة : ١٢) فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ (إبراهيم : ٤٤) فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (فاطر : ٣٧) فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾ (فاطر : ٣٧) ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) ﴾ (المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٧) فيجيبهم الله تعالى: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون : ١٠٨) فلا يتكلمون بعدها أبداً ، وذلك غاية الشدة .

قال مالك بن أنس رضى الله عنه : قال زيد بن أسلم: فى قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (إبراهيم : ٢١) قال : صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا .

روى البخارى عن حديث ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت** » ، فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة ، وتفصيل عمومها وأحزانها ومحنها وحسرتها ، لا نهاية له !! فأعظم الأمور عليهم - مع ما يلاقونه من شدة العذاب - حسرة فوت نعيم الجنة ،

وفوت لقاء الله تعالى ، وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل شيء بثمن بخس دراهم معدودة ، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا وهى أيام قصيرة ، وكانت غير صافية ، وكانت مكدرة منغصة ، فيقولون فى أنفسهم : واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا ؟! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل ؟! ولو صبرنا لكانت انقطعت عنا أيامه ، وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ، وبلوا بما بلوا به ، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال.

وأعلن أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلها لا يزيدون ولا ينقصون ، وإن هذا أمر قد قضى وفرغ منه . قال الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾ (مريم : ٣٩) . ولعمرى إن الإشارة به إلى يوم القيامة . بل فى أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء .

فالعجب منك حيث تضحك وتلهى وتشغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بما إذا سبق فى حقك ، فإن قلت : فليت شعرى .. ماذا موردى ؟ وإلى ماذا مآ لى ومرجعى ؟ وما الذى سبق به القضاء فى حقى ؟ فإنهما علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإن كلا ميسر لما خلق له . فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر ، فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد

خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة الدخان على النار ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ . (الانفطار : ١٣ ـ ١٤) ، فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين ..

***

الخاتمة

فيما يُرجى من رحمة الله تعالى ومَغفرته وعفوه يوم القيامة قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾

(النساء : ٤٨)

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾

(الزمر : ٥٣)

ومِن نعَم الله سبحانه على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء : ١١٠) .

ووَصَفَ رسولَه محمداً خاتم النّبيين وسيّد المرسلين ، وشفيع المذنبين بقوله فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

فوقعت أمتُه المرحومة بين رحيمين كريمين ، والرحيم إذا قدر رحم ، والكريم إذا غلب غفر .

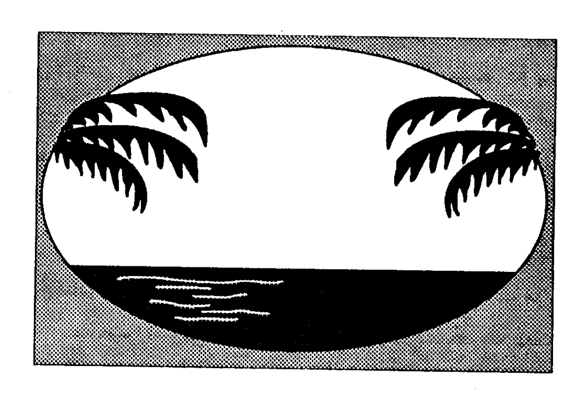
فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لمّا قضى الله الخلق كتب فى كتابه ، فهو عنده فوق العرش : إنّ رحمتى تغلب غضبى » (صحيح الجامع : ٥٠٩٠) .

وعنه أن النبى ﷺ قال : « جعل الله الرحمة مئة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » (صحيح الجامع : ٣٠٩٠) .

وعن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » (صحيح الجامع : ٦٥٥٢) .

* * *

نعيـم أهل الجنة



صفة الجنة وأصناف نعيمها

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بعد عن إحداهما استقر لا محالة فى الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم ، واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم لأهل الجنان وسُقْ نفسك بسوط الخوف ، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك الأعظم ، وتسلم من العذاب الأليم .

فتفكر فى أهل الجنة ، وفى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان ، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان .. يمشين فى درجات الجنان ، إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ، ما تتحير فيه الأبصار ، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان ، عطرات آمنات من الهرم والبؤس ، مقصورات فى الخيام ، فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنة ، قاصرات الطرف عين .

ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين ، بيضاء ، لذة للشاربين ، ويطوف عليهم خدام وولدان، كأمثال اللؤلؤ

المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين ، فى جنات وعيون فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم ، قد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة ، بل عباد مكرمون ، وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يخافون فيها ولا يحزنون - وهم من ريب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً ، فى أنهارٍ أراضيها من فضة ، وحصباؤها مرجان ، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفرانٍ ، ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ، ويؤتون بأكواب - وأى أكواب - بأكواب من فضة ، مرصعة بالدر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق ، ممزوج به السلسبيل العذب ، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته ، لم يصنعه آدمى ، فيقصر فى تسوية صنعته ، وتحسين صناعته ، فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى إشراقها .. ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه ، وملاحة أحداقه ؟

فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفاتها ، ويوقن بأنه لايموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ، ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ؟ ويهنأ بعيش دونها - والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش ، وسائر أصناف الحدثان ، لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته . كيف

وأهلهـا ملوك آمنون ؟ وفى أنواع السـرور ممتـعون ، لـهم مـا يشتـهون ، وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون . وإلى وجـه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر إلى الله مـا لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ، ولا يلتـفتـون ، وهم على الدوام بين أصنـاف هذه النعم يتـرددون ، وهم من زوالها آمنون .

روى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ينادى مُنَادٍ يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فـلا تهرمـوا أبداً** » ، وإن لكـم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ﴾ (الأعراف : ٤٣) .

صفة أبنية الجنة

الجنة هى دار الكرامـة التى أعدها الله للمتـقين مـن عباده ، وأخبـر عنها فى الحديث القدسى : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » ، ومهما قرأت ، وأعجبت مما خطر على قلبك كما يقول ابن عبـاس ـ رضى الله عنه « ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء » ، ويقول الله عز وجل : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ .

(السجدة : ١٧)

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قـال : قلنا يا رسـول الله : حـدثنا

عن الجنة مـا بناؤها ؟ فـقـال : « لبنة من ذهب ولبنة من فـضـة ، وملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » رواه أحمـد والترمذى والبـزار والطبرانى وابن حبـان . ويقـول العلامة (ابن القـيم) إن هذا وصف لجـدار الجنة الخـارجى وهو يحـتـوى على الثـمـانيـة أبواب - التى أخـبـر عنهـا رسول الله ﷺ - فـقـال : « من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله ، دعى من أبواب الجنة كلها ، وللجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كـان من أهل الصـيـام دعى من باب الصـيـام ، ومن كـان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجـهـاد ، فـقـال أبو بكر - رضى الله عنه : والله مـا على أحد من ضرورة من أيهـا دعى ، فهل يدعى أحد منهـا كلهـا ؟ قـال : « نعم وأرجو أن تكون » متفق عليه .

فهذا حائط الجنة الخـارجى الذى يحوى الأبواب ، أما قصورها فقد ورد فيها أحـاديث منها : عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن للمؤمنين لخيمة فى الجنة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السمـاء ستون ميلاً ، للمؤمنين فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » رواه البخارى ومسلم .

وعن فـاطمـة رضى الله عنهـا أنهـا قـالت للنبى ﷺ : أين أمنا خديجة ؟ قال : « فى بيت من قصب ، لا لغو ولا نصب ، بين مريم وآسيـة امرأة فرعون » . قـالوا إنه حـديث غـريب ، وله شـاهد فى

الصحيح : « إن الله أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب اللؤلؤ » ، لأنها حازت قصب السبق فى تصديق رسول الله ﷺ.

وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه . عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت لمن هذا القصر ، قالوا لشاب من قريش فظننت أنى أنا هو : فقلت لمن هو ؟ قالوا لعمر بن الخطاب » .

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل بينهم قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » رواه البخارى ومسلم .

أشجار الجنة وأنهارها

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، وإن شئتم فاقرأوا ، وظل ممدود وماء مسكوب ،» رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : نخل الجنة جذوعها من زمرد خضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها

مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وليس فيها عجم » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: **« الكوثر نهر فى الجنة و حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك . وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج »** رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **« بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ، قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، قال : فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر »** رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **« أنهار الجنة تخرج تحت تلال أو من تحت جبال المسك »** .

طعام أهل الجنة وشرابهم

عن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ، ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس »** رواه مسلم وأبو داود .

قال الله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الواقعة : ٢١) .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنك لتنظر إلى الطير فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً** » .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة ، فقال أبو بكر** رضى الله عنه : يا رسول الله ، إن هذه لطير ناعمة ، **فقال** ﷺ : « **أكلها أنعم منها . قالها ثلاثاً . إننى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها** » رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن . البخت : الإبل الخراسانية .

وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن فى الجنة طائراً له سبعون ألف ريشة يجىء فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينقض فيقع من كل ريشة لون أبيض من الثلج ، وألين من الزبد ، وألذ من الشهد ، ليس فيها لون يشبه صاحبه ثم يطير** » . رواه ابن أبى الدنيا ، وحسن الترمذى إسناده .

وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ ﴾ (الزخرف : ٧١) قال : يطاف عليهم بسبعين صحفة من الذهب ، كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) ﴾ (المطففين : ٢٧) يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفاً. وقال أبو الدرداء فى قوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ (المطففين : ٢٦) ، قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال : فمن أول إجازة ؟ يعنى على الصراط فقال : « فقراء المهاجرين » قال اليهودى : فما تحفتهم حين يدخلون ؟ قال « زيادة كبد الحوت » قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » فقال صدقت رواه مسلم .

صفة أهل الجنة

عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال : « يدخل أهل الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين » حسن غريب .

جرداً يعنى بدون شعر على أجسادهم ، مرداً : بدون لحية .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً » .

وعنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يتلوهم على صورة أشد كوكب درى فى السماء إضاءةً ، لا يبولون ، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون ، ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك . ومجامرهم الألوة، أزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء » متفق عليه .

ثياب أهل الجنة

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الدخان : ٥١ ـ ٥٣) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ (الكهف : ٣٠ ـ ٣١) قال جماعة من المفسرين السندس : ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج : هما نوعان من الحرير ، وأحسن الألوان : الأخضر وألين اللباس الحرير فجمع بين حسن منظر اللباس ، وإلذاذ العين به ، وبين نعومته والتذاذ الجسم به .

وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » .

وأخرج مسلم من حديث زهير بن حرب « **من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه** » .

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله، أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلق يخلق . أم نسيج ينسج ؟ فضحك بعض القوم . فقال رسول الله ﷺ : مم تضحكون!! من جاهل يسأل عالماً ثم أكب رسول الله ﷺ فقال : « أين

السائل ؟ ، قال: هو ذا أنا يا رسول الله ، قال : « لا ... بل تنشق عنها ثمر الجنة ، قالها ثلاث مرات .

وعن أبى سعيد قال : قال رجل : يا رسول الله ، وما طوبى ؟ فقال: **« شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »** .

وعن ابن سلام الأسود سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال : **« ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، فتفتح له أكمامها يأخذ من أى ذلك ، إن شاء أبيض وإن شاء أخضر .. وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن »** غريب حسن .

صفة نساء الجنة

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة : ٢٥)، جمع الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآبدين ، وعدم انقطاعه . والأزواج المطهرة هى التى طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا وطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة ،

وطهر لسانها من الفحش والبذاءة ، وطهر طرفها من أن تطمع به إلى غير زوجها .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الرحمن : ٥٨) ، **« ينظر إلى وجهه فى خدها .. أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب وإنه ليكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقيها من وراء ذلك »** رواه أحمد وابن حبان والبيهقى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده ،** (يعنى سوطه) **فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت (امرأة) من نساء الجنة إلى الأرض لملأت ما بينها ريحًا ولأضاءت ما بينها ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »** رواه البخارى ومسلم . والنصيف : الخمار ، وقاب : قدر .

وروى أحمد ، والترمذى وصححه ابن ماجه عن المقدام بن معدى كرب : **« إن للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له عند أول قطرة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويتزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه »**[1] وفى مسند الإمام أحمد عن

(١) انظر كتابنا : القبر أول منازل الآخرة ، باب الشهيد ، .

معاذ مرفوعاً : لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : قاتلك الله إنما هو دخيل يوشك أن يفارقك إلينا .

وروى الترمذى وغيره عن على قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة مجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلها، ويقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نَبْؤُس ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » .

أدنى أهل الجنة منزلة

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ، قال : رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له ادخل الجنة .. فيقول رب .. كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ، فقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربى .. فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله . فقال فى الخامسة : رضيت ربى ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت ربى، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت .. غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » فذكر الحديث إلى أن

قال : « .. ثم يقول الرب تبارك وتعالى : ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم ، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى مثل النخلة ، ومن يعطى أصغر من ذلك ، حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على إبهام قدميه يضىء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه وإذا أطفىء قام . فيمرون على قدر نورهم . منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كأشد الفرس، ومنهم من يمر كأشد الرجال ، حتى يمر الذى يعتلى نوره فى ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، تخر يد وتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رِجْل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا أخلص وقف عليها فقال : الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحداً : إذ نجانى منها بعد إذ رأيتها ، قال : فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة ، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما فى الجنة ، من خلال الباب فيقول : رب أدخلنى الجنة .. فيقول له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار فيقول : رب اجعل بينى وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها قال : فيدخل الجنة ويرى أن يرفع له منزل أمامه .. كان ما هو فيه إليه حلماً فيقول : رب أعطنى ذلك المنزل فيقول له : لعلك إن أعطيته لك تسأل غيره ، فيقول : لا ، وعزتك وأى منزل أحسن منه ؟! فيعطاه فينزله ويرى أمام ذلك منزلاً كان ما هو فيه إليه حلماً . قال : رب أعطنى ذلك المنزل . فيقول الله تبارك وتعالى له :

فلعلك إن أعطيته تسأل غيره فيقول : لا وعزتك وأى منزل أحسن منه ؟ فيعطاه فينزله ثم يسكت ، فيقول الله جل ذكره ما لك لا تسأل، فيقول : رب سألتك حتى استحييتك وأقسمت حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل : ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه فيقول : أتهزأ بى وأنت رب العزة ؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله . قال : فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث يضحك حتى تبدو أضراسه ، فيقول الرب جل ذكره : لا ولكنى على ذلك قادر ، سَلْ . فيقول : ألْحِقْنى بالناس فيقول : الحق بالناس . فينطلق يرمل فى الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له : ارفع رأسك ، ما لك .. ؟ فيقول : رأيت ربى أو تراءى لى ربى . فيقال إنه إنما هو منزل من منازلك . قال : ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له فيقال له : فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول : إنما أنا خازن من خزائنك وعبد من عبيدك تحت يدى ألف قهرمان على ما أنا عليه قال : فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال : وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء فيها سبعون باباً ، كل باب يفضى إلى جوهرة خضراء مبطنة ، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى ، فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن .. حوراء عيناء ، عليها سبعون حلة ، يرى مخ ساقَيها من وراء حللها ، كبدها مرآته ، وكبده مرآتها إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفاً فيقال له : أشرِف ، فيشرف ،

فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك ، قال : فقال عمر : ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلة ! فكيف أعلاهم ؟! قال : يا أمير المؤمنين ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . إن الله جل ذكره خلق داراً جعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة : ١٧) قال : وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء . وأراهما من شاء من خلقه ثم قال : من كان كتابه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحد ، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج ، فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه ، فيستنشقون بريحه فيقولون : واهاً لهذا الريح هذا ريح رجل من أهل عليين وقد خرج يسير في ملكه ، قال : ويحك يا كعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها ، فقال كعب : إن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لركبتيه حتى إن إبراهيم الخليل ليقول : رب نفسي .. نفسي ، حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو » . رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي مسلم نحوه باختصار عنه قال يحيى بن معاذ : « ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد ، وترك الدنيا مهر الآخرة » ، وقال أيضاً : في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الآخرة عز النفوس . فليهتف كل منا بنفسه قائلاً :

ألا يا نفسُ ويحك ساعـديني	بسـعى منك في ظلم الليـالي
لعلك في القيـامـة أن تفـوزي	بطيب العيش في تلك العلالي

رؤية الله عز وجل

قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس : ٢٦)

وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، فقد روى مسلم عن صهيب قال : قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال : « إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا : ما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار ؟ قال : فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه » ، وهذه هي غاية الحسنى ، ونهاية النعمى ، وكل ما فصلناه من النعيم عند هذه النعمة ينسى . وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى . بل لا نسبة لشيء من اللذات إلى لذة اللقاء .

أول من يدخل الجنة

حرمت الجنة على الأنبياء حتى يدخلها النبي محمد ﷺ وحرمت أيضاً على الأمم حتى تدخلها أمة محمد ، فقد روى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ عن

رسول الله ﷺ قال : « **إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى** » .

وروى فى صحيح مسلم من حديث أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه** » .

وفى الصحيحين من حديث طاوس عن أبى هريرة - رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ : قال: « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم** » .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **عرض علىّ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة : فالشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رقّ الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال ، وأول ثلاثة يدخلون النار : فأمير مسلط[1] وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله من ماله ، وفقير فخور** » رواه الإمام أحمد .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى واللفظ له من حديث ابن عشانة المعافرى أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : قال رسول

---

(١) أى ظالم .

الله ﷺ : « هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء. تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا ، فيقول : عبادى لا يشركون بى شيئاً تتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء(١) بأربعين خريفاً » وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم ، وذلك خمسمائة عام » رواه الطبرانى .

أنهار الجنة

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد : ١٥) ، وقال تعالى: ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ (آل عمران : ١٥) .

---

(١) إلى الجنة .

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ، ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها ، فقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله - عز وجل - للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوق عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** » .

وفى صحيح البخارى من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما أنا أسير فى الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر[1] الذى أعطاك ربك قال : فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر** » .

وفى جامع الترمذى من حديث الجريرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « **إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد** » .

وقال الحاكم : حدثنا الأصم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد ابن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قرة ، عن عبد الله بن سمرة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يسقيه الله عز وجل ، من الخمر فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ومن سره أن**

---

(١) الكوثر : من الكثرة ، والعرب تسمى كل شيء كثير فى العدد أو القدر : كوثر ، والكوثر هو حوض النبى ﷺ وهو رأى جمهور العلماء ، وأنا أميل إلى رأى جمهور العلماء .

يكسيه الله الحرير فى الآخرة فليتركه فى الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به فى الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً » .

أبدية نعيم الجنة

مهما طال نعيم الدنيا فهو زائل لا محالةَ ، إما بالموت أو بغيره لذا كان نعيم الدنيا ناقصاً لاحتمال الزوال .

أما نعيم الآخرة فهو أبدى خالد لا يكتنف صاحبه سقم ولا ألم ولا ملل ولا نقصان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) ﴾ (الدخان : ٥١ ـ ٥٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) ﴾ (البقرة : ٨٢) ، وقال تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (١٠٨) ﴾ (الكهف : ١٠٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ (١) وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ (التوبة : ٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) ﴾ (البينة : ٨) .

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ـ رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد ، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً** » .

رواه مسلم

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار(٢) ثم يؤذن مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة : لا موت ويا أهل النار : لا موت ، كل خالد فيما هو فيه** » ، متفق عليه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بالموت يوم القيامة ، فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل الجنة فيطّلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين ، أن يخرجوا من**

(١) عدن أى جنات إقامة .

(٢) أعوذ بالله من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار .

مكانهم الذى هم فيه ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كليهما : خلود فيما تجدون ، لا موت فيها أبداً » ، رواه أحمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك .

وعن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« يؤتى بالموت كأنه كبش أملح[1] حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة فيشرئبون[2] ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . فيضجع ويذبح ، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا حزناً »** . رواه الترمذى .

وآخر دعواهم

يقول الله ـ عز وجل : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ﴾ (الأنعام : ١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (الكهف : ١) ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ (الفاتحة : ٢) ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (فاطر : ١) ، فهو المحمود فى الأولى والمحمود فى الآخرة وفى جميع الأحوال .

وقد جاء فى الحديث « إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما

---

(١) الأملح : النقى البياض ، أو الذى بياضه أكثر من سواده .

(٢) أى يرفعون رؤوسهم .

يلهمون النفس - بفتح الفاء - وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم فتكرر وتعاد وتزاد فليس لها انقضاء ولا أمد ».

إن دعوى أهل الجنة التى يحبون[1] تحقيقها ليست مالاً ولا جاهاً وليست دفع همٍّ ولا غمٍّ ولا أذىً ولا تحصيل مصلحة فلقد كفوا شر ذلك كله ولقد اكتفوا فما لهم من حاجة من تلك الحاجات ولقد استغنوا بما وهبهم الله ولقد ارتفعوا عن مثل هذه الشواغل والهموم . إن أقصى ما يشغلهم - حتى ليوصف بأن « دعواهم » هو تسبيح الله أولاً وحمده أخيراً يتخلل هذا وذاك سلام وتحيات بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين ملائكة الرحمن ..

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠ ﴾ (يونس : ١٠)

***

(١) انظر فى ظلال القرآن : ١٧٦٨/٣ (بتصرف) .

خـــاتمـــة

يقول ابن القيم فى مقدمة (حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح):

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم عرضه على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً وقلن : ربنا ، إن أمرتنا فسمعاً وطاعة وإن خَيَّرْتنَاَ - فعافيتك نريد ، لا نبغى بها بدلاً ، وحمله الإنسان على ظلمه وجهله .. فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤونته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا كصحبة الأنعام السائمة ، لا ينظرون فى معرفة موجدهم، وحقه عليهم .

ولأن المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فلقد ملكهم باعث الحس ، وغاب عنهم راعى العقل ، وشغلتهم الغفلة ، وغرتهم الأمانى الباطلة والخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل فهمهم فى لذات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، ما إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحداناً ، ولم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . (الحشر : ١٩) .

والعجب كل العجب منْ غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له ، إذا ذهب لم يرجع إليه .. فمطايا الليل والنهار تسرع بـه ولا يتفكر إلى أين يحمل ويسار بـه أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته . لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه حيث لم يقدم لحياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو .. وقال : قد نبأنا أنه هو الغفور الرحيم ؟ وكأنه لم ينبئنا أيضاً أن عذابه هو العذاب الأليم .

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا علم الجنة قد رفع لهم ، فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ، ولا ينفد ، بصبابة عيش .. إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سر يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف مسراته ، وأوله مخاوف ، وآخره متالف .

فيا عجباً من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض . بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات . ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة

آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان .. بقذرات دنسات سيئات الخلق مسافحات أو متخذات أخدان[1] . وحوراً مقصورات فى الخيام .. بخبيثات مسيبات بين الأنام . وأنهار من خمر لذة للشاربين .. بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين . ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم . وسماع الخطاب من الرحمن .. بسماع المعازف والغناء والألحان. والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد .. بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد . ونداء المنادى يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا وتشبوا فلا تهرموا .. بنداء الشيطان .

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة .. إذا حشر المتقون إلى ﴿ الرحمن ﴾ وفداً، وقد سيق المجرمون إلى جهنم ورداً ، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد ، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإكرام ، والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود فى سقط المتاع ، وعلم أن

---

(١) أى : أصحاب وعشاق .

القوم قد توسطوا مُلكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال .. فهم فى روضات الجنة يتقلّبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ (الواقعة : ١٧ ـ ٢٤) ، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) ﴾ (الزخرف : ٧١) ، تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد فما طلب ولا استقام إلا أفراد من العباد فوا عجباً لها ، كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمع بمهرها خاطبها ؟! وكيف طلب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها . وقر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأى شىء تعوضت نفوس المعرضين ؟!

تم بحمد الله تعالى

الفهــرس

الموضوع | الصفحة